شعراء الاسكندرية

« الشعر الاول »

لشاعر العصرى خليل شيبوب

تعجبون اذا قلت لكم أن دهن الفكر يتمنى ويأمل ويشتهى كقلب الوجداني . قلب الانسان الذى يعيش بعواطفه . ولكن عجبكم يبطل متى علمتم أن طغيان المادة على الروح فى الاسكندرية جعلنا نتمنى ونشتهى باذهاننا لا بقلوبنا . ولا نتمنى بقلوبنا إلا فى حدود الاشياء المادية الصرفة . فنتمنى بقلوبنا نحن معشر السكندريين المصريين أن يكون لنا إيراد حسن وفيلا أنيقة وسيارة بديعة وأن نكون مضاربين فى البورصة موفقة على الدوام وألا يفوتنا شيئا من ملذات الدنيا . مبلغ علمنا أن نتمنى كل ذلك بالقلب ونجد لنا شركاء وأنصارا من الحزب المتصرف الذى يتمنى فى الجيد منظارا أبيض وهو الدون جوان ، ولكن . . . أمنية تتعلق بالشعر مثلا . بداهة الشعر أنه ليحلق السأم والبؤس . مثالنا وهذا البطالة والخلاعة . ليس لنا سبيل للاحلام ولا للمتمنيات !

— الشعر ! بالله ! ماعملت بهذا الصنف من التفكر بعد ! . لعله من انتاج مزارع يوناني خبير بانتقاء البذور ! . .

— الشعر ! ورق جديد هذا ! بياع عندنا ! من فضلك انظر لنا ماسعره اليوم

— الشعر ! نعم ! نعم . أعرف أنها مودة جديدة فى الفصحان !

يستحيل عليك أن تتمنى بقلبك أمنية تتعلق بالشعر فى الاسكندرية وانما بالقلب مضاد الاخلاص . والاخلاص فى تفكرنا واقف على شعر الشيطان وحده

إذن المفكر العفر اذا هو تمنى بذهنه

أمنية ذهبية قديمة كنت أتمنى بها نفسى فى كل وقت وهى أن أكتب عن شعراء الاسكندرية العصريين نخبة من الشباب الذى يذهب الاوقات انتهابا للانشاد والاعراب عن عواطف حارة كينة فى قوالب من النظم تتفاوت فى الجودة

ولما وجدت من نفسي استعداداً لتحقيق أمنيتي الذهنية اخترت أن أبدأ بصديقي الشاعر الوجداني خليل شيبوب .

عجباً كيف أن أمنية ذهنية مجردة تدفعني الى الكتابة عن شاعر وجداني ألم يكن من الواجب أن تكون أمنيتي وجدانية أيضاً لانها تتعلق بالشعر وبشعر صديق أشاركه في كثير من عواطفه وآرائه ومبادئه ونجمعني وإياه جامعة واحدة هي جامعة الادب

أليس من الاثم ألا نفكر في الذين يحبوننا ونحبهم إلا بأذهاننا وألا نكتب عنهم إلا بأذهاننا دون أن نستملي من قلوبنا التي قد تكون أصدق في أحكامها وأكثر انطباقاً على العواطف المتبادلة بيننا !

أن مسئولية هذا الاثم واقعة على الاسكندرية أنها تعيش بعقولها لا بعواطفها وأن المفكر الذي يعيش بعواطفه لا الأجراء وحكمكم على مخالفة العادة المفروضة ولي العذر عند صديقي الشاعر .

صورته

انت حين تفكر بذهنك في انسان تقترب من جادة « الرياليسم » في تصوير الحقيقة ولكنك حين تفكر فيه بقلبك وحده تفرض على خيالك الاشتراك في تصويره ولقد يكون القلب اداة حسنة في تصوير الشاعر . هذا اذا اردت أن تكتب للشعر لا للتاريخ . اما ان تقصر ذهنك على تأليف صورة له فهذا لعمري غاية من يبتغي الحق . والحق وجه مليح من وجوه الشعر

عرفت خليل شيبوب من عشر سنوات . شاباً جمع إلى الروح العملي — روح الاسكندرية التي اختارها موطناً ثانياً بعد سوريا — أساليب الشاعر الذي يحيي بعاطفة أو بصورة ليست نموذجاً لكل الصور المألوفة أو بمثل أعلى ليس مما يدين به سائر الناس .

هو في صورته الطبيعية لا يختلف عن سائر الشبان إلا بريق غير عادي في عينيه وتهذيب تام في ملامح وجهه واعتدال في قامته . هدأ إلى تطرف واناقة في هندامه مجردتين من كل تعمد أما صورته الأدبية فانها تمتاز بالاخلاص . واخلاصه الأكيد في معاملته لمن يقتربون منه وفي طباعه وبشاشته واخلاصه لفنه وعمله . اخلاص حتى لذكرى الذين مر بهم مروراً وقتياً في حياته من الكتب والناس .

والمكتب والناس أثر عظيم فى حياته الروحية . لا نريد أن نقول انه قرأ كثيراً لانه تعبير عادى لا يدل على الحقيقة التى نبغيها . لقد تعارفنا فى حقبة من الزمن كان شيبوب قد انتهى فيها من الاطلاع على كل بدائع الأدب الأوربى . ومن قبل ظل يقتبس شيوءه من تيار الفكر العربى القديم والحديث .

قرأ ذلك فى أوقات دنت فيه الشهرات المتعة وملاذ المجتمع المتناهية موفورة لمتناوله . على أنه لم يفض نصيبه منها . فعوز تجاربه عن طريق الاطلاع خبرة بالحياة الاجتماعية فتاة ثم لشاب فى سنه . لذلك كان محدثا غير مملول ولو طال حديثه يوما لا ينقطع . ولكم يسر من يعرفه أن يستكشف ذلك فى شعره وفى رسائله .

وكذلك هى حاله مع الناس . يتعذر أن يحول الحلم الشعرى عنده دون رؤيته للحقيقة . ان الروح العملى ليطغى عنده أحيانا على شاعريته . واذ ذاك يبدو موظفا كامل الأداة مستجمع التفكير على الدوام . مخلصا فى أداء عمله . وهو عمل قضائى جاف لا يحسب حتى الآن لاعلى فطرته الشعرية ولا على شعرية خلقه . غير ينقض به دائما إلى الحقيقة بكل تفصيلاتها دون أن يحمله على الأخذ من أية طبيعة لاتى تعديات بلا فى تشويهها . وهو من أجل ذلك يكون نفسه ويثقف عقله ويكتفى من الطبيعة فى اختيارها وصياغتها مأثورة منه .

[illegible] شعره

[illegible] من عوامل الأديب التى اراد أن يصف شعر شيبوب بقوله أنه أشد شعر العصر اخلاصا فى غزله . وليس شيبوب شاعر غزل فحسب . هو شاعر الحياة . وبرغم قوة مذهبه الفنى فى الشعر فانه مصور ماهر لألوان الحياة الحقيقية . ولعله أبلغ شعراء العصر فى اقتطاع صورة من الحياة وإفراغها فى القالب الفنى يختاره من الشعر . ولو لم يكن كذلك لما عد شاعراً .

ومن يطلع على ديوان شيبوب يلاحظ فى الحال ذلك التضمين العجيب لعواطف الغاب ومرائى الطبيعة موقفة توقيفا دقيقا بما يكاد يحس به كل انسان .

شاعر وفنان يغلب فنه على شعره وتغلب العاطفة على فنه ومن أجل ذلك حسبه البعض شاعر غزل مختصا فى غزله . وبعد فالغزل أدنى مافى شعر شيبوب وإن كانت العاطفة ، العاطفة الصادقة المخلصة أسمى مايمتاز به شعره .

ثم هو موفور فى قوافيه مقتدر ماهر موفق فى ابتكار المعانى والأوصاف . ومن الممكن ألا يعجب شعره إلا على مايسمى عدم نظام فى التعبير الفنى وهو نظام فى عرف الفن

ويؤخذ أيضا على شوقي عنايته بالتعبير الشعري متى استوى لديه المعنى المبتكر. ان عنايته بالمعنى تفوق حد المعقول.

لا نريد أن نحاول نظرية التجديد في عرف نقاد العصر لكي نطبقها على « النجم الآفل » — ديوان شيوب — لأن هذه النظرية لا تزال من الابهام الى حد أنه يصعب إدراك غايتها. وليس من أقوال الشعراء المعاصرين دعاة التجديد وامثلته مالم يعسر على القدماء الاتيان بنظيره.

وما دامت العاطفة واحدة في الشعر قديمه وحديثه فمن العبث أن نعلق كل الاهمية على المعاني الشعرية المستحدثة. مثال ذلك ان الشعراء القدماء لم يتركوا شيئا للاخلاف في باب الغزل. اذن لا يمكن ان نقدر شاعرا بقدر اخلاصه او عدم اخلاصه في الغزل. وليس الغزل هو كل شيء في الشعر. والشعر من حيث كونه فنا انما تنحصر قيمته في فن الشاعر. وشيوب من هذه الجهة اقوى فنا من كثير من الشعراء. وليست أجل في شعره سوى الفن. الفن العظيم الذي يستمليه الشاعر من عاطفة عاتمة أو ايمان مفرط بمثل أو صورة غير عادية.

ولا يخلو شعر شيوب لا من الايمان الذي هو مصدر وحي والهام الشاعر. ولا من الصدق الذي هو عنصر نادر في الشعر العربي القديم ولا من الفن الذي هو زينة الشعر الحقيقية.

اما التصوير في الشعر أي التأثر الصادق بالمرئيات فانه ميزة شيوب الشاعر والكاتب. والى كل ذلك بلاغة تعبر عن الحياة وليلها وبأساتها وفلسفتها في روحه الشعري نزعة معروفة في اللاتين هي عنصر الخلاوة والمتاع الحقيقي في الشعر.

وفي الاطلاع على شعر شيوب متاع اي متاع وفيه رنين المعادن الثمينة واغاريد الطيور النادرة.

هذا الشاعر الذي هو المثل الكامل لشعراء الشباب في الشرق العربي انما يسير في الشعر مسير الياس الشيخ في تدوين مذكراته: من بدء توليد الحس الياسي الى اعتزاله النهائي للديلوماتي!

في وسعك ان تطلع في ديوان شيوب على كل طور من أطوار حياته الوجدانية تطلع على مذهبه في فلسفة الحياة. وذوقه في تلوين الصور بالالوان التي لا توتر في ذوي الارواح الرقيقة السريعة الانفعال. هو شاعر عصري باعمق معاني الكلمة

وسنتكلم عن ديوانه في كلمة تالية ان شاء الله

الاسكندرية — عبد الحميد سالم